

المبسوط في فقه الإمامية

[5] وشاء الله أن يكون منهم في كل عصر وجيل شموسا يزيل بهم غواصق الظلم، ويجعلهم للمتقين إمام، وإقامة الحق وإعلاء كلمة التوحيد أعلاما يرحضون معرة باطل أهل الضلال، ويوقظون شعور الأمة لحفظ الشريعة عن التحريف والتبديل، وقاموا وجهدوا جهادا علميا، ونهضوا بأعباء واجبههم الديني ينفون عن دين الحق تأويل المبطلين، ويوضحون طريق الحق، ويبينون كل فرية شائنة. وما يناسب المقام البحث عنه من افتراءاتهم ما طعنوا عليهم بقله الفروع وقلة المسائل ومخالفة الاجماع، وقد أجاب عن هذه الفرية الشيعة السيد المرتضى علم الهدى عليه الرحمة: قال في مقدمة كتابه الانتصار ما لفظه: أما بعد فإنني ممثّل لما رسمته الحضرة السامية الوزيرية العميدية - أدام الله سلطانها وأعلا أبدأ شأنها ومكانها - من بيان المسائل الفقهية التي يشنع بها على الشيعة الإمامية وادعى عليهم مخالفة الاجماع وأكثرها موافق فيه الشيعة غيرهم من العلماء والفقهاء المتقدمين أو المتأخرين، وما ليس لهم فيه موافق من غيرهم فعليه من الأدلة الواضحة والحجج اللاحقة ما يغني عن وفاق الموافقات ولا يوحش معه خلاف المختلف. إلى أن قال: فكيف جازت الشناعة على الشيعة بالمذاهب التي تفردوا بها ولم يشنع على كل فقيه كأبي حنيفة والشافعي والمالكي ومن تأخر عن زمانهم بالمذاهب التي تفرد بها وكل الفقهاء على خلافه فيها؟ وما الفرق بينما تفردت به الشيعة منا لمذاهب التي لا موافق لهم فيها وبين ما انفردت به أبو حنيفة والشافعي من المذاهب التي لا موافق لهم فيها؟ فإن قالوا: الفرق بين الأمرين أن كل مذهب تفردت به أبو حنيفة فله موافق من فقهاء أهل الكوفة فيه أو من السلف المتقدم، وكذلك ما تفردت به الشافعي له فيه موافق من أهل الحجاز ومن السلف، وليس كذلك الشيعة. قلنا: ليس كل مذهب تفردت به أبو حنيفة أو الشافعي يعلم أن أهل الكوفة وأهل الحجاز أو السلف قائلون به، وإن ادعى ذلك دون ما هو معلوم مسلم غير منازع فيه فالشيعة أيضا تدعي وتروي أن مذاهبها التي انفردت بها هي مذاهب جعفر بن محمد الصادق